الشعب التونسى ليس عيبا أن نعلن أن هناك خللا فى نظامنا السياسى فى العالم العربى كله يحتاج إلى إصلاح وتغيير.. بل العيب أن نطقطق الرؤوس ونلقيها على صدورنا قائلين أو متمنين أن يكون ليس فى الامكان أبدع مما هو كائن.. والشرف لمن يبدأ بزمام المبادرة.. وليس عيبا أن ندرك أن هناك خلا فى نظامنا الاقتصادى وفى توزيع الثروات وفى الاستفادة منها لصالح الشعب أن نعترف بالخلل الاجتماعى فى منظومة الدولة ونبحث عن الآلية التى تحقق للمجتمع العدالة الاجتماعية.. ما المانع من إصدار تشريع إعالة البطالة حتى وأن كان ما يكفى لطبق من الفول يوميا ورغيف من الخبز وكسوة سنوية وموقع جسد للراحة من عناء البحث عن عمل.. علينا أن نعترف أننا بحاجة إلى تشريعات تنظم حركة المواطن اليومية وتساعده على الإنتاج والإبداع من اجل الوطن ورفع العبء عن الحكومات لا تشريعات تزيد الطين بلة والمعانات معاناة.. علينا فقط الصدق مع النفس، والثقة فى قدرتنا الجماعية.. فإن كانت الأغلبية الصامتة لا تريد تغيير شخوص نظام الحكم لكنها أيضا قلقة على مستقبل أطفالها من عدم حدوث تغيير..

حاجة غريبة..

لا أستطيع أنا أو اى أحد من البشرية كلها لديه ثقافة إسلامية كافية عن الإسلام كتاب وسنة وسيرة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وللصحابة الذين تم فتح نصف الدنيا للإسلام على أيديهم وبقيادتهم، والذين عاشوا فى حروب وغزوات طيلة حياتهم فى الإسلام من غزوة بدر إلى فتح بلاد الروم وفارس وما وراء النهرين وشرق آسيا، طيلة النصف قرن الأول من التقويم الهجرى، والمنتهية بحكم الخلفاء الراشدين، والمسماة تاريخيا بعصر صدر الإسلام.. لا يستطيع احد أن يخرج لنا من هذا التاريخ ما يدل على أن المسلمين الأول وهم فى حال الحرب مع أعدائهم من غير المسلمين وفى حال الدعوة لنشر هذا الدين، قد مسوا المقدسات الدينية السماوية أو غيرها بسوء، فما بالك ما وجب عليهم فعله تجاه من يعايشوهم ويتعايشوا معهم وبهم تحت سقف وطن واحد.. جوهر الإسلام وظاهره وباطنه ينهى المسلم عن سب غيره، فمن سب غيره فسبه غيره كان كمن سب نفسه، كما نهى عن سب دين الأخر حتى لا يسب الأخر دينه، ونهى عن مس مقدسات الأخر بسوء حفاظا على مقدساته، هذا فى حال الندية أو الحرب، أما فى حال السلام والمعايشة والجوار والولاية، فعن الحقوق الإنسانية والأمانة الخلقية فحدث بلا ملل عن فيض من نور المحبة والسلام.. إن ما تشهده مصر من أحداث ذات الصلة بالطائفية، أمر لا يصدقه عقل، ولا يقبله قلب، فهو مشهد همجى لا ينبغى له أن يكون على ارض مصر مهد التعايش الانسانى والوسطية الفكرية والثقافية.. فمصر كائن حى ينبض بالحياة مهدا للحضارات والتاريخ.. اختاره الله وسطا فى كل شىء حتى جغرافيته.. ووسطا لكل شىء حتى للكرة الأرضية التى هى جزء منها.. وهذا أحد أسرار نجاح ثورتها.. مصر هذه.. ليس من المتصور أن يكون فيها فتنة من هذا النوع، ولا ينبغى لها.. فليست هذه هى مصر التى اعرفها..

إن ما حدث ليس إلا تناغما مع نسبة الجهل التى يتمتع به الشارع المصرى فى العديد من المجالات علميا وسياسيا واجتماعيا، وانطبع هذا الجهل سلوكا فى الشخصية المصرية نظرا لأمرين هامين.. اولهما استقرار مظاهره فترات تراكمية من الزمن.. وثانيهما دعم العوامل المساعدة لهذا الاستقرار وتنميته من قوى وجماعات وأفراد لها مصالح من استمراره، لمصلحة سياسية أو لمصالح أنصاف المتدينين وأنصاف العلماء، وأحيانا لمصلحة اجتماعية بيئية مستندة على رغبة المجتمع فى الحفاظ على القيم المجتمعية.. إذن فلا يجب علينا أن ننسب هذه الأحداث للأديان من قريب أو من بعيد فالأديان منها براء، ولا يجب أن يدافع عنه أو يسكت عليه من ينتسب للإنسانية، فما بالك ومن ينتسب لدين سماوى، نظم حركة الإنسان فى الكون، ومنهج رؤيته للحياة، وارتقى به إلى عنان السماء، وفضله عن سائر الخلق، كما لا يجب أن نعتمد على الأمن وحده فى التصدى لحل مثل هذه القضايا.. أو على سياسة العصا والجزرة.. أو على الحلول الوسط، العرفية المؤقتة والتى ثبت عدم جدواها فى حل جزء من المشكلة أو القضية من الجزور.. بل يجب الالتفات إلى حلين متساويين..هما تفعيل دور القانون والقائمين عليه فى معالجة سريعة وحازمة حتى لا يطر أحد أطراف النزاع للجوء إلى الحلول الذاتية بعيدا عن سلطان الدولة التى يرى بعضهم عدم جدواه فى الحل العادل للمشكلة، إلى جانب المماطلة التى قد تحدث لأسباب سياسية أو بيروقراطية.. والثانى هو التوعية المستمرة للوصول إلى الطريق الامثل لإنهاء ما قد يحدث من نزاعات محتملة تحت مظلة الدولة المدنية وسيادة القانون وروح المواطنة.. توعية شاملة وفاعلة..

أيام باد..

أحيانا أشعر باني إنسان سيئ.. أو إنسان مختلف.. أو إنسان غرست فيه على طول النصف قرن الماضى هم كل حياتى على هذا الكوكب مجموعة من القيم والأفكار المختلفة والمتناقضة أحيانا.. وهذا الغرس قد يكون مقصودا ممن غرسوه.. وقد يكون هذا القصد برئ أيا كانت نتائجه، وقد يكون غير برئ.. وقد يكون الغرس نتاجا طبيعيا من مجموعة القيم المجتمعية والنظم السياسية والأوضاع الاقتصادية.. تتحكم فى نتائجه طبيعة التنشئة السرية والبيئة الاجتماعية، ومفردات تكوينى الشخصى جسديا ونفسيا، وما حصلت عليه من علوم إنسانية مباشرة، ومجمل الحالة التثقفية لى وللمجتمع.. فطفولتى كانت ريفية فى بحرى مصر فى عهد عبد الناصر.. عضت النكسة ولم أفهم لها سببا وقتها سوى أنها من غدر العدو، أما نحن.. فكه تمام يا ريس !.. وعشت الاستنزاف فأدركت معنى الإصرار على عدم التسليم بالهزيمة والإيمان بالنصر.. ومع بداية المراهقة تحقق المدوي بالكرامة والأمل فى أكتوبر ٧٣ ـ واكتفيت به أملا قد تحقق أصرع مما تخيلت، وصفقت للسادات الذى أراد أن يجنى منه السلام والاستقرار والانتعاش الاقتصادي.. وفى مطلع الشباب أفقت على مقتل السادات فى يوم عرسه.. ذكرى يوم النصر.. لم أشعر يوما إنى إنسان غريب أو سيئ وأنا انتمى لعبد الناصر الذى كانت هزيمة ٦٧ ـ فى عصره وإلى السادات الذى تحقق النصر على يديه.. ولم أهلل مع من أقاموا الأفراح لمقتله بهذه الطريقة البشعة فى وضح النهار..